

الكشاف

" فما لبث أن جاء " فما لبث في المجيء به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه . والعجل :

ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة وكان مال إبراهيم E البقر " حنيد " مشوي بالرصيف في أخدود . وقيل " حنيد " يقطر دسمه من حذت الفرس إذا ألقيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه " بعجل سمين " الذاريات : 26 . يقال : نكره وأنكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك : أنا أنكرك ولكن منكر ومستنكر وأنكرك . قال الأعشى :

أنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا .

قيل : كان ينزل في طرف من الأرض فخاف أن يريدوا به مكروها . وقيل : كانت عابرتهم أنه إذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه وإلا خافوه والظاهر أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره ﷻ عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى إلى قولهم : " لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط " وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا " فأوجس " فأضمر . وإنما قالوا : " لا تخف " لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه . أو عرفوه بتعريف ﷻ . أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف لأنهم كانوا لا ينزلون إلا بعذاب " وامرأته قائمة " قيل : كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم . وقيل : كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم . وفي مصحف عبد ﷻ : وامرأته قائمة وهو قاعد " فضحكت " سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث . أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلمهم العذاب . وقيل : كانت تقول لإبراهيم : اضمم لوطا ابن أخيك إليك فإني أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ما توهمت . وقيل ضحكت فحاضت . وقرأ محمد بن زياد الأعرابي فضحكت بفتح الحاء " يعقوب " رفع بالابتداء كأنه قيل : ومن وراء إسحاق يعقوب مولود أو موجود أي من بعده . وقيل الورا : ولد الولد . وعن الشعبي أنه قيل له : أهذا ابنك ؟ فقال نعم من الورا وكان ولد ولده . وقرئ : يعقوب بالنصب كأنه قيل . ووهبنا لها إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب على طريقة قوله : .

..... ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعب..... .

الألف في " يا ويلتا " مبدلة من ياء الإضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجا وقرأ الحسن : يا ويلتي بالياء على الأصل . و " شيخا " نصب بما دل عليه اسم الإشارة . وقرئ : شيخ على أنه خبر مبتدأ محذوف أي : هذا بعلي هو شيخ . أو بعلي : بدل من المبتدأ وشيخ : خبر أو يكونان معا خبرين . قيل : بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولإبراهيم مائة وعشرون سنة " إن هذا لشيء غريب " أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي أجراها ﷻ .

وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها ف " قالوا أتعجبين من أمر ا " لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وأن تسبح ا وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة صلوات ا عليهم في قولهم : " رحمة ا وبركاته عليكم " أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب . وأمر ا : قدرته وحكمته : وقوله : " رحمة ا وبركاته عليكم " كلام مستأنف علل به إنكار التعجب كأنه قيل : إياك والتعجب فإن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من ا عليكم . وقيل : الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم " حميد " فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده " مجيد " كريم كثير الإحسان إليهم . وأهل البيت : نصب على النداء أو على الاختصاص لأن " أهل البيت " مدح لهم إذ المراد : أهل بيت خليل الرحمن .

" فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى تجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب "